

تطور أساليب التدريس في عصر العباسي الأخير وأثره على أساليب التدريس الحديثة

الدكتور معيوف سالم الشمري*

المخلص

كان التعليم في العصر العباسي مجاني، لا مركزي، من حيث المناهج والكتب والأدب، مع علاقته بالدولة دون أن يقيد نظام معين أو مناهج محدودة، وهذا ما أكده العلماء المسلمون الذين كانوا يديرون ويغذون العلم. البحث هو محاولة لشرح تأثير الطريقة في عهد العباسي الأخير، وكيف تأثرت الطريقة في أساليب التدريس الحديثة من خلال أهم أساليب التدريس مثل: المحاضرة، العرض، المناقشة، طريقة الأسئلة، ثم تناول البحث طريقة التربية الإسلامية التي كان لها تأثير على أساليب التدريس المعاصرة مثل الكتابة والإجازة العلمية والرحلة.

Abstract :-

The education in the Abbassi era was free, decentralized, in terms of curricula, books & manners, with its relation to the state without being restricted by a particular system or limited curricula , this was confirmed by the unique scientists, who were administering & feeding it with science. The research is an attempt to explain the effect of the method in the last Abbassi era & how it influenced in the modern teaching methods through the most important methods of teaching such as: lecture, spelling, presentation, discussion & mode of questions, then the research dealt with the method of Islamic education which had an impact on contemporary teaching methods such as writing, scientific vacation & trip .

المقدمة

الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صل الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً.

يحدثنا القرآن الكريم أن الله سبحانه وتعالى قد تعهد البشر تربويًا بتعليمهم منذ أن خلق سيدنا آدم وأودع فيهم القوى والطاقات التي تمكنهم من استعمار الأرض وإظهار ما أودع الله فيها من كنوز وخيرات؛ فكان الإنسان هو الخليفة الذي سلم أمر الأرض إليه، وأعطى من العلم ما يبسر له استعمال خاصية اللغات برموزها وإشاراتها إلى الأشياء والأشخاص وإعطائها المسميات التي تميزها، وهذه القدرة التي أودعها الله في الإنسان هي سر من أسرار تكريمه للإنسان على كثير ممن خلق، وترفعه إلى المعرفة والعلم فوق درجات الملائكة هي درجة مسؤوليات الخلافة في الأرض؛ يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [سورة البقرة، الآية: 30 - 38]، ففي هذه الآيات نلمح بوادر التربية الإلهية للإنسان ممثلاً في سيدنا آدم الذي كرمه الله، وعلمه مسميات الأشياء، ووكّل إليه تحمل مسؤولية المواجهة للغواية ووسوسة الشيطان والمحافظة على عهد الله.

وقد أذكى الإسلام منذ بدايته مروراً بالعصر العباسي جذوة المعرفة في نفوس العرب؛ إذ دفعهم دفعاً قوياً إلى العلم والتعليم، فلم يمض نحو قرن حتى أخذت العلوم اللغوية والدينية توضع أصولها، وحتى أخذ العرب يلمون بما لدى الأمم المفتوحة من ثقافات متباينة، وقد مضوا في هذا العصر يتقصونها وينقونها بكل مواردها إلى لغتهم، ونهض التعليم حينئذ نهضة واسعة، وعادة كأن الناشئ يبدأ بالتعليم في الكتاتيب حيث يتعلم مبادئ القراءة والكتابة وبعض سور القرآن الكريم وشيئاً من الحساب، وبعض الأشعار والأمثال، وكان بعض معلمي هذه الكتاتيب يعلمون الناشئة أيضاً السنن والفرائض والنحو والعروض. وكانوا يؤثرون في تعليم البنات تحفيظهن القرآن الكريم، وخاصة سورة النور، ويورد الجاحظ

وابن قتيبة أسماء طائفة مشهور من معلمي الكتاتيب من مثل أبي البيداء الرياحي اللغوي ، ومحمد بن السكن المحدث ، وأبي عبد الرحمن السلمي المقري وأبي صالح الإخباري . وخص الجاحظ - أحد كبار علماء العصر العباسي - هؤلاء المعلمين برسالة مألها بنوادرهم ، مما كان سبباً في أن تدور شخصية معلم الكتاب بين الشخصيات المضحكة في الأدب العربي ، ولذلك يمثل العصر العباسي مرحلة تبلور الثقافة العربية ونضجها ، ففيه نظم التعليم وأسست المدارس ونهضت العلوم .

أهمية البحث

تأتي أهمية البحث من خلال مساهمته في بيان طرائق التدريس المعاصرة وكيف نشأت وتطورت وكيف أثر العصر العباسي في الطريقة وتطورها، وكيف أصبحت طرائق التدريس من الأهداف الرئيسية للعملية التربوية وذلك من خلال اعداد انسان ومعلم يكون هدفه الأساس في تطوير المجتمع وليكون قوة فاعلة ومؤثرة في وطنه ومجتمعه.

مشكلة البحث

تبرز مشكلة البحث من خلال الملاحظات والميزات الآتية:

1. اعتماد طرائق التدريس القديمة والحديثة وكيف اثرت وتأثرت في نشأة الطريقة في العصر العباسي الأخير.
2. كيف اثرت طريقة التدريس في العصر العباسي في الطريقة الحديثة واخذت بعضاً من مسالكها وانواعها وكيف استفادت من ايجابياتها في العلم ونشره.

اهداف البحث

يهدف البحث الحالي الى:

1. التعرف على نشأة الطريقة وكيف تطورت طرائق التدريس في العصر العباسي الأخير وكيف اثرت في طرائق التدريس المعاصرة.
2. معرفة مدى فاعلية تطبيق إستراتيجيات التدريس في العصر العباسي في تنمية المهارات عند المعلم ورفع مستوى التحصيل والتفكير من خلال طرق تدريس المحاضرة ، الاملاء ، المناقشة والعرض ، والاسئلة.

منهجية البحث

اعتمد البحث على المنهجية التاريخية والوصفية في وصف المادة العلمية المدروسة، ثم اضحى منهجا مقارنا في قسم من مباحثه ومطالبه بحسب ما تقتضيه المادة العلمية والحاجة اليها في تفرعات البحث .. ومن الله التوفيق

التمهيد : التعليم والإسلام

جاء الإسلام وعدد من يقرؤون ويكتبون من قريش سبعة عشر رجلاً؛ منهم عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب من الراشدين (رضي الله عنهم)، وقلّة من النساء منهن حفصة وأم كلثوم من زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم وعائشة التي كانت تقرأ المصحف ولا تكتب، وكذلك أم سلمة (رضي الله عنهن)، ومنهن الشفاء بنت عبد الله العدوية معلمة حفصة، وأما في المدينة فلم يزد عددهم من الأوس والخزرج على أحد عشر رجلاً، وكان بعض اليهود يقومون بتعليم صبيان يثرب بعد أن تعلموا العربية، ولقلة الرجال الذين يكتبون آنذاك كان لقب (الكامل) يطلق على من تعلم الكتابة والرماية والعموم؛ فلقب بذلك سعد بن عبادة سيد الخزرج، وأسيد بن حضير وعبد الله بن أبي، وكان ممن كتبوا للرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة أبي بن كعب وزيد بن ثابت وعبد الله بن سعد بن أبي سرح وعثمان بن عفان وشرحبيل بن حسنة وأبان بن سعيد والعلاء الحضرمي ومعاوية (رضي الله عنهما)، ولم يكن تشجيع الرسول صلى الله عليه وسلم قاصراً على تعليمهم القراءة والكتابة لصبيان المدينة كما حدث مع أسرى بدر، بل طلب من زيد بن ثابت أن يتعلم كتاب اليهود؛ لأنه لا يأمنهم على القرآن، فعرف كتابتهم، كما طلب منه أن يتعلم السريانية قائلًا له: إني أكتب إلى قوم فأخاف أن يزيدوا علي أو ينقصوا فتعلمها في مدة وجيزة..^(١)

ولعلنا نستطيع أن نقول بنوع من التجاوز: إن أول مدرسة في تاريخ الإسلام هي تلك المدرسة التي كانت في دار الأرقم بن أبي الأرقم في مكة؛ حيث ربي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه تربية لم تتوافر في تاريخ البشرية، على الرغم من أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد ترك بعده المصدرين الأساسيين للدعوة والتربية، وهما القرآن الكريم وسنته زيادة على سيرته العطرة...

فالرسول صلى الله عليه وسلم كان المعلم الأول الذي أرسله الله إلى البشرية ليعلّمها الكتاب والحكمة ويزكيها، وكان عليه الصلاة والسلام المطبق الأول لتعاليم السماء والمنهج الإلهي سائراً على الأرض؛ فقد وصفته أم المؤمنين بأنه كان خلقه القرآن، وكان القدوة الحسنة لأصحابه؛ يعلمهم بالموعظة الحسنة والتجربة الفعلية والتوجيه النافع وقت الشدائد والمحن، ولمعرفته لأهمية المعلم والتعليم في التربية والدعوة أرسل مصعب بن عمير مع أهل يثرب حين آمنوا ليقوم بواجب التعليم والتربية والدعوة إلى الله.^(٢)

وهاجر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى يثرب؛ فكان مسجده صلى الله عليه وسلم جامعة المسلمين الكبرى ومركز الدعوة إلى الله فيها؛ يتعبد الناس، وفيها يبلغ الرسول عن الله، وفيها ينزل التشريع من نظام للمجتمع الجديد، وفيها يقابل السفراء والوفود، ومنها تخرج الجيوش حاملة لواء الدعوة، وإليها تتجه أنظار القبائل والدول والأمم، وكان القرآن وحده - والقرآن وحده - هو منهج تلك الدراسة وهدفها ووسيلتها وغايتها، وكان نتائج ذلك المنهج ذلك الجيل القرآني جيل الصحابة المميز في تاريخ الإسلام كله والبشرية جمعاء؛ ذلك الجيل الذي رياه الرسول صلى الله عليه وسلم على كتاب الله لتخلص نفوسهم له وحده، ويستقيم

عودهم على منهجه وحده؛ جيل خالص القلب والعقل والتصور والشعور والتكوين المجرد من كل المؤثرات غير منهج الله الممثل في القرآن...

أما وسيلته إلى ذلك فقد كان القرآن وحده؛ باعتباره النبع الذي يسقون منه ويتكيفون به ويتخرجون عليه، مع وجود المؤثرات من حضارة الرومان وثقافتها وكتبها وقانونها الذي مازال في أوربا، ومن حضارة الإغريق ومنطقهم وفلسفتهم وفنهم الذي مازال ينبع الغرب، ومن حضارة الفرس وفنهم وشعرها وأساطيرها وعقائدها ونظم حكمها وحضارات أخرى.^(٣)

المبحث الأول

نشأة الطريقة وتطور طرائق التدريس

المطلب الأول : نشأة طرائق التدريس

بدأت فكرة " المعلم " لدى الإنسان منذ القدم بسيطة ، فقد أدرك ضرورة مواجهة المشكلات التي تجابهه ، فلما يعيش لابد من أن يتغلب عليها .

وإذا كانت طرق التعليم قد نشأت بسيطة هكذا ؛ تعتمد على المحاولة والخطأ ، والملاحظة والمحاكاة ، فإن السؤال الذي يطرح الان هو : كيف تطورت طرق التدريس و أصبحت علما ؟

وكانت طريقة التعليم في الحضارات القديمة تتمثل في المعيشة الكاملة بين التلميذ والأستاذ عن طريق التقليد والميل والارشاد الدائم

وفي العصر اليوناني كانت العلوم تنبني على الفلسفة التي تبحث في موضوعها عن العقل واحكامه ، وبالتالي نشأة طريقة الحوار لكونها الأسلوب الامثل لهذا النوع من العلوم

وفي العصور الوسطى ساد التفكير الدين وبالتالي نشطت العلوم اللغوية والادبية، ولهذا كانت العلوم متناقلة من السابق الى اللاحق ، تعتمد فيها على الذاكرة والحفظ ، وذلك سادة طريقة التقليد والتحفيز.^(٤)

المطلب الثاني : الأسس الفلسفية لطرائق التدريس

الفلسفة التربوية لطرائق التدريس تنبثق عن فلسفة المجتمع ،وتعمل المدرسة على خدمة المجتمع عن طريق صياغة مناهجها وطرق تدريسها في ضوء فلسفة التربية وفلسفة المجتمع معاً.

تهدف فلسفة المجتمع إلى تحقيق فهم أفضل لفكرة الحياة وتكوين المثل الشاملة حولها، وحتى يستطيع المجتمع المحافظة على فلسفتها ونشرها فلا بد له من الاعتماد على فلسفة تربوية خاصة به تكون بمثابة

الوسيلة لتحقيق الأفكار والمثل والقيم والمعتقدات التي يؤمن بها، ويحرص على تطبيقها في الحياة. ومن هنا نستطيع معرفة العلاقة الوثيقة بين التربية والفلسفة فكل فيلسوف لا بد له من تربية حتى تنشر أفكاره

ومعتقداته فلقد قيل بأن الفلسفة والتربية وجهين لعملة واحدة، وأن رجال التربية هم فلاسفة مثل أفلاطون وابن رشد والغزالي والفارابي وأرسطو وغيرهم.

تعريف فلسفة التربية: هي التطبيق للنظريات والأفكار الفلسفية المتصلة بالحياة في ميدان التربية وتنظيمها في منهج خاص من أجل تحقيق الأهداف التربوية المرغوب فيها.^(٥)

وهناك الكثير من النظريات الفلسفية والنفسية والاجتماعية، التي تحاول تحديد طبيعة الإنسان، وهي تختلف فيما بينهما حول شيء واحد، وهو الإنسان، فمثلا نجد نظرية التحليل النفسي، والنظرية السلوكية، ونظرية المجال، ونظرية الذات، كل لها مسلماتها وفروضها والدراسات التي تقوم عليها وكل لها حقائق وقوانين تؤكدها، وبعض النظريات مثل نظرية الذات لكارل روجرز Rogers؛ "١٩٥٩" تنظر إلى الإنسان -كما نظر إليه جان جاك روسو Rousseau- على أنه خير بطبيعته، وتتنظر إليه نظرة متفائلة باعتباره أفضل المخلوقات، وأن بعض الظروف والضغوط هي التي تفسده وتجعل سلوكه مضطربا. ومثل هذه النظرية يقوم عليها الإرشاد النفسي الممركز حول العميل، التي تركز على مساعدة الفرد في إزالة العوامل التي تحول دون تحقيق ذاته وطبيعته الخيرة، وهو يعرف نفسه داخليا بدرجة تفوق معرفته لأي شيء آخر. وفي نفس الوقت نجد نظرية مثل نظرية التحليل النفسي كما قدمها سيجموند فرويد Freud 1993^(٦) تنظر إلى سلوك الإنسان في تشاؤم على أنه شهواني عدواني. وبين هاتين النظريتين تقع نظريات مثل النظرية السلوكية، فترى أن الإنسان محايد أساسا، وأن سلوكه يكون حسب ما يتعلم خيرا أو شرا سواء أو انحرافا، وتوافقا أو اضطرابا "باتيرسون Patterson؛ ١٩٦٧".

والله خلق الإنسان وهو أعلم بمن خلق. قال الله تعالى: {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} ولذلك فخير فهم لطبيعة الإنسان هو كما حددها الله سبحانه وتعالى. وأهم سمات طبيعة الإنسان كما حددها الله سبحانه وتعالى ما يلي:

- الإنسان هو أفضل المخلوقات، كرمه الله وفضله على كل خلقه حتى الملائكة. قال الله تعالى: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ} وخلقهم الله في أحسن تقويم. قال تعالى: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ}. وعلمه ما لم يكن يعلم. قال تعالى: {بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ}. وميزه بالعقل والتفكير والقدرة^(٧)

والفلسفة التربوية تنتوع على أقسام منها :

١. الفلسفة المثالية والواقعية : تعود الى العصور القديمة :
٢. الفلسفة الطبيعية والاسلامية: تعود الى القرون الوسطى
٣. الفلسفة البراجماتية والوجودية وهي من الفلسفات الحديثة
٤. الفلسفة التواترية والجوهرية وهي من الفلسفات المعاصرة^(٧)

وطرائق التدريس في المثالية فهي :

- طريقة الحوار أو الطريقة السقراطية
- طريقة الالقاء
- طريقة التحليل والتكريب من أجل حل المشكلات^(٨)

في حين تنطلق الأسس الفلسفية لطرائق التعليم من منظور الفلسفة الإسلامية من أسس عدة ، أهمها :

- ١ - تحقيق العبودية الخالصة لله تعالى، وذلك بأن يكون العبد يعبد رباً واحداً. وأن تستقيم وتتنظم حياة البشر ضمن هذه الغاية، ولا يتوصل إلى المعرفة الحقة والعبودية الخالصة لله إلا بوجود دوائر تعمل على تحقيق هذه الغاية، ولذلك كانت المدرسة التي عملت وسعت لتحقيق وتوضح هذا الهدف في نفوس طلابها، قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات: ٥٦].
- ٢ - الأداء الأمثل للتكاليف الشرعية المختلفة، وذلك لأن معالم الشريعة لا تكون واضحة ولا تعرف أحكام الدين إلا عن طريق التعليم الإسلامي القيم، والتعليم الصحيح هو الطريق الأمثل للوصول إلى مراد الشارع سبحانه وتعالى؛ إذ يقول في كتابه الكريم: {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ} [النحل: ٨٩]. إذ إن العبادات كافة التي شرعت ما كانت إلا لعبادة الله سبحانه وتعالى، التي يترتب عليها الهداية والرحمة.
- ٣ - ويترتب على الهدف السابق هدف آخر هو إعداد الإنسان الصالح بنفسه المصلح لغيره، ولذلك عد هذا الهدف مهماً من وجهة نظر التعليم الإسلامي، فالتعليم الإسلامي يعد الفرد لكي يكون أمراً بالمعروف معيماً عليه وعلى فعله، وناهياً عن المنكر داعياً إلى تركه بعد أن يكون هو نفسه قد امتثل هذا الأمر أو النهي.^(٩)
- ٤ - توفير جو علمي، تهدف المدرسة الإسلامية إلى توفير جو علمي يساعد الأساتذة والمعلمين على أن يفكروا ويؤلفوا ويبتكروا، فيضيفوا كل جديد إلى العلوم المختلفة بصفة مستمرة.
- ٥ - العمل على توسيع الأفق الفكري لدى الطلاب، فالمدرسة لا تكتفي بتنمية الخبرات، بل تعمل على أن تكسب الطالب الخبرات الجديدة الناتجة عن تجارب الأمم السابقة والمعاصرة، وهذا ما يسمى عند علماء التربية الإسلامية «نقل التراث» وهذا يكون من خلال إطلاع الطلبة على التراث الحضاري والفكري لدى الأمة مما يؤدي إلى توسيع الأفق لديهم نتيجة لاطلاعهم على تلك الخبرات^(١٠)
- ٦ - إعداد الكوادر الفنية، تهدف المدرسة من وراء تعليمها للطلبة إلى إعداد الكوادر الفنية المؤهلة لممارسة الأعمال المختلفة سواء في الجهاز الحكومي أو في غيره، لاسيما أن الوظائف قد تشعبت وكثرت وتضخمت، ولذلك قامت المدرسة بتخريج الأفراد الذين عملوا على تحمل مسؤولياتهم في تلك الوظائف فهذه الأهداف للمدارس الإسلامية^(١١)

المبحث الثاني

طرائق التدريس في العصر العباسي المتأخر وأثرها في طرائق التدريس المعاصر

المطلب الأول : طرق التدريس (المحاضرة والإلقاء والعرض والمناقشة والإسئلة)

وفي العصر العباسي تنوعت طرائق التدريس تبعاً للمناهج التعليمية والمؤسسات العلمية؛ إذ أسست مدارس لتعليم الصغار القراءة والكتابة والقرآن الكريم، وقد يضاف إليها تعليم شيء من قواعد اللغة العربية، وكانت تسمى هذه المدارس "كتاتيب" والواحد منها "كتاب"، ثم انتشرت هذه الكتاتيب في المدن

والقرى ، وفيه اتسعت مواد التعليم في حلقات العلماء التي كانت تعقد في المساجد والجوامع، وكان الخلفاء والأمراء والأغنياء يتخذون لأولادهم معلمين خاصين.

وفيه اتسعت دوائر التعليم، حتى صارت تعقد المناظرات والمجالس العلمية في المساجد والمكتبات والقصور وبيوت العلماء والوزراء ، وفيه ظهرت حركة علمية عن طريق المراسلات بين العلماء، أسئلة وأجوبة، فإذا اشتهر عالم بعلم ما أو بعدة علوم، في بلد من بلدان المسلمين، أخذت تتوافد عليه الرسائل التي يسألها أصحابها فيها مسائل ليجيبهم عليها، وكانت العلاقة بين الأستاذ وتلاميذه كعلاقة الأب بابنه، فالأستاذ معلم ومرب ومنفق، والتلميذ مطيع وخادم، وإذا أعجب الأستاذ بتلميذه وكانت لديه بنت مناسبة زوجه بنته، وهذه الظاهرة كانت منتشرة في كل بلدان العالم الإسلامي، وفي مختلف العصور^(١٢)

وقد اختلف المؤرخون وأهل العلم حول بداية نشأة المدارس الإسلامية في العصر العباسي، فمنهم من قال إنها ظهرت في عهد نظام الملك الذي أنشأ المدرسة النظامية سنة ٤٥٩ هـ ومنهم من قال إنها كانت قد ظهرت قبل ذلك بكثير، ولكن بالرجوع إلى المصادر والكتب المتخصصة نجد أن أول ظهور للمدرسة كان في أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث الهجري، وهذه المدرسة هي مدرسة الإمام أبي حفص الفقيه البخاري «١٥٠ هـ - ٢١٧ هـ» ويبدو من نسبتها إلى مؤسسها أنها قد أسست في أثناء حياته، وأبو حفص البخاري من الفقهاء الذين تزعموا الحركة الفكرية في مدينة بخارى، ثم نشطت حركة إنشاء المدارس في بلاد المشرق بعد هذا التاريخ ، وإلى هذه المدارس خرج الطلبة من الحلق التي كانت تعقد في المسجد إلى مكان يختص بتلقي علم معين فيوقف عليهم المال وتوفر لهم أسباب التعليم^(١٣) ، ولذلك كان المسجد في العصر العباسي الأساس الأول للتعليم^(١٤) .

وبقي التعليم في العصر العباسي حراً لا مركزياً من حيث المناهج، والكتب والأساليب، مع ارتباطها مالياً بالدولة التي تجري لها الجرايات، وتخصص لها الأوقاف، والهيئات دون أن تقيد نظام معين، أو مناهج محددة، ثقة منها بالعلماء الأفاضل الذين كانوا يديرونها، ويغذونها بالعلم^(١٥) .

اهم طرائق التدريس

١- طريقة المحاضرة

طريقة المحاضرة من أكثر طرائق التدريس استخداماً لقدرتها على إثارة الانتباه وتقديم المعلومات والحقائق التي يصعب الحصول عليها بطريقة أخرى، ومن مزايا المحاضرة أنها تساعد المتعلم على تنظيم المعلومات والحقائق والمقارنة بين الآراء المتباينة وإعمال الفكر فيها واستدعائها والتوصل إلى استنتاجات محددة وعرضها على نحو سليم، وتعتمد طريقة المحاضرة على الإلقاء والتكرار ويجب على المعلم إعداد الدرس جيداً قبل إلقاء المحاضرة بوقت كاف طبقاً لخطة محددة، كما يجب أن يعد الوسائل التعليمية المناسبة للمحاضرة^(١٦)

ووصف ابن بطوطة طريقة المحاضرة في التدريس بالمدرسة المستنصرية التي بناها أمير المؤمنين العباسي المستنصر بالله في بغداد عام ٦٣١ هـ "١٢٣٤م" : وكانت أشبه بمدينة فيها أربعة أروقة يختص كل منها بمذهب خاص من مذاهب السنة وكان عدد طلابها ثلاثمائة موزعين على هذه الأروقة. وكان الطلاب يقيمون إقامة داخلية بالمدرسة. وكانت إقامتهم وتعليمهم بالمجان كما كان الطالب يعطى دينارا من الذهب في الشهر. وعندما زارها ابن بطوطة كان يدرس بها المذاهب الأربعة فيقول في وصفها: "لكل مذهب إيوان فيه المسجد وموضع التدريس وجلس المدرس في قبة خشب صغيرة على كرسي عليه البسط ويقعد المدرس وعليه السكينة والوقار لابسا ثياب السواد معتما وعلى يمينه ويساره معيدان يعيدان كل ما يمليه. وهكذا ترتب كل مجلس من هذه المجالس الأربعة وفي داخل هذه المدرسة حمام لطلبة ودار الوضوء. ووصف جامع دمشق المعروف بجامع بني أمية وعرض باختصار لمدرسيه ومعلميه ووصف طرقهم في التعليم وأشهر المدرسين به. وذكر أيضا مدارس الشافعية بدمشق كالعادلية والظاهرية وإن كانت مجرد إشارة إلى الأسماء فقط دون التعرض بالتفصيل لوصفها. وذكر بعض علماء مصر والإسكندرية وذكر أن مدارسها يعيها الحصر لكثرتها^(١٧). وابن جببر الرحالة العربي المشهور في القرن الثاني عشر وصف مدارس بغداد وعد منها ثلاثين مدرسة وأهمها المدرسة النظامية التي أنشئت ٤٥٧ هـ "١٠٦٥م" وتم بناؤها في عامين. وكان التلاميذ يتلقون العلم بالمجان كما كانوا يحصلون على الطعام والعناية الطبية ويأخذ كل منهم دينارا من الذهب كل شهر لنفقاته^(١٨). ويرجح أن النساء كن أيضا يذهبن إلى المدارس في بعض الأحوال^(١٩).

إن عملية التدريس هي نظام يتكون من مجموعة الخبرات والأنشطة التي يقوم بها المدرس، من أجل مساعدة التلميذ على تحقيق أهداف معينة. إن هذا يعني أن عملية التدريس وسيلة لتعديل السلوك. ويستند هذا التصور إلى مجموعة من الأسس، وهي أن عملية التدريس تتألف من مدرس وتلميذ ومادة تعليمية، وأنها سلوك اجتماعي يمكن ملاحظته وقياسه، وبالتالي يمكن تعديله، وأنها عملية إنسانية يتم التفاعل فيها بين المدرس والتلميذ، كما أنها عملية تساؤل وسيلتها الرئيسية اللغة، فالمحاضر يختار ألفاظا وجملا وتراكيب بقصد مساعدة طلابه على استحضار المعاني التي يريد توصيلها إليهم.

إن المحاضرة طريقة من طرق التدريس التقليدية، وهي لذلك طريقة قديمة يستخدمها المدرس في كل المستويات التعليمية منذ أمد بعيد، وقد ازدادت أهمية المحاضرة بسبب الانفجار السكاني والتوسع الهائل في التعليم، وبالتالي زيادة أعداد الطلاب وازدحام الفصول الدراسية، ونقص المدرسين وأعضاء هيئات التدريس على جميع المستويات التعليمية^(٢٠).

٢ - الإملاء والعرض

أشهر وسائل التدريس عند علماء المسلمين هي السماع والإملاء وهي تتفاوت فيما بينها من حيث الأهمية. فالسمع يكون بأن يقرأ الأستاذ من كتابه أو من ذاكرته ما يريد روايته لطلبته وهو أعلى طرق

التعليم. ولم يكن مسموحاً للطلاب بأن يكتبوا أثناء قراءة الأستاذ مما اضطر الأساتذة إلى عقد مجالس الإيملاء. وقد يكون السماع بأن يقرأ الطالب من كتاب أستاذه أو من نسخته هو أو من ذاكرته بحضور أستاذه، وهذا يسمى "العرض"، ومن العلماء من كان لا يحبذ السماع أو العرض خشية أن يكون الطلبة غير منتبهين لما يقرأ عليهم أما الإيملاء فقد عده أغلب العلماء خيراً وسائل التعليم حتى لمن يأخذون بأسلوب السماع. وكانت مجالس الإيملاء تعقد يوم الجمعة في الغالب. ويكون الإيملاء من الكتب أو الذاكرة، وعندما تكون المجالس كبيرة يستعان بالمستمطين الذين يمكن أن يسموا مدرسين مساعدين أو "معيدين" مهمتهم إعادة ما يلقيه الأستاذ ليسمعه البعيدون عنه. وقد يتعدد المستملون حسب كثرة عدد الحاضرين. وقد عرف بعضهم بقوة الصوت، وهذه هي أهم صفاتهم^(٢١).

إلا أنه كان من واجبهم معرفة الموضوع الذي يملونه وإجادة اللغة مع صحة التلفظ. وقد وجد بين هؤلاء المستمطين علماء من ذوي الشهرة. وفضلاً عن ذلك كان عليهم أن يتحلوا بسعة الصدر لا سيما عندما يطلب إليهم إعادة الإيملاء أكثر من مرة. ويبدو أن الأساتذة هم الذين كانوا يعينون المستمطين. وكان البعض يتخذ الاستملاء مهنة يعيش منها. وقد يطلب الأستاذ إلى أحد طلابه أن يساعده في الإيملاء إذا لم يتيسر وجود مستمل. والمستمطي يقف عادة على رجليه بخلاف الأستاذ والطلبة إلا إذا وجد مقعداً عالياً يجلس عليه بحيث يراه الطلاب ويسمعونه، ومن طريق ما يروى أن أحد المستمطين ارتقى نخلة وصار يملئ منها. وكان على المستمطي أن يعيد قراءة ما أملي في نهاية المجلس ويعد نسخة مكتوبة للدرس كله. إلا أن بعض الطلبة كانوا لا يحبون السماع إلا من الشيخ نفسه من دون واسطه على الرغم أن المستمطي ينقل ما يسمع حرفياً وليس له أن يغير شيئاً منه بل حتى ولا يصحح ما قد يقع من أغلاط^(٢٢).

٣ - المناقشة والمناظرة

تعد طريقة الحوار والمناقشة والمناظرة من طرق التدريس الفعالة، وهي تعتمد على الأسئلة والاستجابات للوصول إلى الحقائق، وتتيح هذه الطريقة الفرصة للمتعلم للمشاركة في العملية التعليمية بالأسئلة وإبداء الرأي والاستماع إلى آراء الآخرين وتحليلها.

والمناقشة طريقة حية حيث يتبادل فيها المعلم والمتعلمون الكلام والاستماع، ويشاطر فيها المتعلمون المعلم الفهم والتحليل، وتقويم موضوع أو فكرة أو مشكلة وبيان نقاط الاتفاق ونقاط الاختلاف، وطريقة المناقشة من أقرب الطرق إلى روح منهج التربية الإسلامية وأفضلها، فضلاً عن كونها من أهم ألوان النشاط التعليمي للكبار والصغار على السواء، فحياتنا المعاصرة ذات الاتجاهات المختلفة والفروع المتشعبة والمتعددة تتطلب الاهتمام بالمناقشة والإقناع واكتساب الفرد القدرة على المناقشة الموضوعية الحرة التي تساعده على أداء واجبه كإنسان في المجتمع. وتتمتع طريقة المناقشة بمزايا عدة منها:

- ١- اعترافها بإيجابية المتعلم وإيمانها بدوره في العملية التعليمية، وقدرته على التعلم من خلال المناقشة والمشاركة الفعالة.
- ٢- توطيد العلاقة الطيبة بين المعلم وطلابه وإشعار المعلم بطلابه بقدرتهم على المشاركة الإيجابية مما يحفزهم على زيادة نشاطهم وفاعليتهم.
- ٣- إسهامها في تنمية الاتجاهات والقيم والمستويات العليا في الجانب المعرفي بدرجة أكبر من طريقة المحاضرة.
- ٤- تقديم المساعدة الفعالة على اكتساب مهارات الاتصال، لا سيما مهارات الاستماع والكلام وإدارة الحوار، بالإضافة إلى إتاحة الفرصة للدارس لاكتساب أساليب وآداب النقاش القائمة على النظام واحترام الآراء.
- ٥- العمل على زيادة إقبال الدارس على التعليم والتفاعل مع النشاطات التعليمية من خلال إتاحة الفرصة للدارس ليتحدث في موضوعات تهمة وقضايا تشغل باله وفكره، مما يشعره بقيمة التعليم.
- ٦- مساعدة الطلاب في تحليل مشكلاتهم واستخلاص النتائج المترتبة على مناقشاتهم بالإضافة إلى مساعدتهم في اتخاذ القرارات التي يتعين عليهم اتخاذها.
- ٧- جعل المعلم أكثر إدراكا لمدى انتباه الطلاب وتجاوبهم مع المناقشة وتقبلهم لموضوعها^(٢٣).

٤. طريقة الأسئلة

وهي تعتمد على الأسئلة والاستجواب للوصول إلى الحقائق، وتتيح هذه الطريقة الفرصة للمتعلم للمشاركة في العملية التعليمية بالأسئلة وإبداء الرأي والاستماع إلى آراء الآخرين وتحليلها. وتعد المسابير أو التساؤلات جانبا مهما في المقابلة، وتتوقف فاعليتها على نوع السؤال ومدى تكرارية الأسئلة، وفي الواقع فإن توجيه الأسئلة قد يمضي في يسر كما قد يقابل بضيق من المسترشد، ذلك يتوقف على مهارة المرشد، وقد نصادف أحيانا مع بعض المرشدين المبتدئين أنهم يديرون مقابلاتهم على أنها سلسلة من أسئلة، وقد يؤدي ذلك بهم إلى أن يوجهوا الأسئلة غير المناسبة في الوقت غير المناسب، وهذه الطريقة قد تجعل المسترشد ينظر إلى المقابلة على أنها أسئلة، أو تحقيقات بدلا من كونها بيئة للفهم، ويمكن أن تفيد الأسئلة في عمل المرشد حين تسود بينه، وبين المسترشد فترة من الصمت، أو عندما يفقد الكلمات المناسبة، ويجب ألا يوجه المرشد الأسئلة إلا إذا كان هناك هدف من السؤال الذي في ذهنه.

الأسئلة المفتوحة، والأسئلة المقفلة:

تصاغ معظم الأسئلة الفعالة في صيغة ذات نهاية مفتوحة بادئة بأدوات مثل: ماذا، كيف، متى، أين أو من، والسؤال المفتوح يحتاج إلى إجابة بالتفصيل والشرح، ويستلزم الانفتاح ولا يمكن أن نجيب عليه بنعم أو لا^(٢٤).

وكانت طريقة التعليم في هذه المدارس تختلف باختلاف الأماكن فكانت هناك الطريقة القيروانية والقرطبية والبغدادية والمصرية. وقد كتب ابن خلدون في مقدمته فصلا ممتعا عن تعليم الولدان واختلاف مذاهب الأمصار الإسلامية في طرقه يقول فيه: "فأما أهل المغرب فمذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط وأخذهم أثناء المدارس بالرسم ومسائله واختلاف جملة القرآن فيه لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم لا من حديث ولا من فقه ولا من شعر ولا من كلام العرب إلى أن يحذف فيه أو ينقطع دونه فيكون انقطاعه في الغالب انقطاعا عن العلم بالجملة، وهذا مذهب أهل الأمصار بالمغرب ومن تبعهم من قرى البربر.. وأما أهل الأندلس فمذهبهم تعليم القرآن والكتاب من حيث هو، وهذا هو الذي يراعون في التعليم فلا يقتصرون لذلك عليه فقط بل يخلطون في تعليمهم للولدان رواية الشعر في الغالب والترسل وأخذهم بقوانين العربية وحفظها وتجويد الخط والكتابة ولا يختص عنايتهم بالقرآن دون غيره بل عنايتهم بها من جميعها إلى أن يخرج الولد من عمر البلوغ إلى الشبيبة.

وأما أهل إفريقية فيخلطون في تعليمهم للولدان بالقرآن بالحديث في الغالب ومدارسه قوانين العلوم وتلقين بعض مسائلها إلا أن عنايتهم بالقرآن واستظهار الولدان إياه ووقفهم على اختلاف رواياته وقراءاته أكثر مما سواه وعنايتهم بالخط تبعا لذلك. وبالجملة فطريقتهم في تعليم القرآن كذلك على ما يبلغنا ولا أدري أهل الأندلس. وأما أهل المشرق فيخلطون في التعليم وصف العلم وقوانينه في زمن التشبيبة. ولا يخلطون بتعليم الخط بل لتعليم الخط عندهم قانون ومعلمون له على انفراده كما تتعلم سائر الصنائع ولا يتداولونها في مكاتب الصبيان وإذا كتبوا لهم الألواح فبخط قاصر على الإجابة"^(٢٥).

وهناك من الباحثين من ذكر انواعا من طرائق التعليم في العصر العباسي ، منها^(٢٦):

طريقة القدوة: القدوة هي أفضل وسائل التربية على الإطلاق، وأقربها إلى النجاح، فمن السهل تخيل منهج أو تأليف كتاب في التربية، لكن هذا المنهج يظل حبرا على ورق ما لم يتحول إلى حقيقة تتحرك في واقع الأرض، وإلى بشر يترجم بسلوكه وتصرفاته ومشاعره وأفكاره مبادئ هذا المنهج ومعانيه، لذلك فعندما أراد الله لمنهجه أن يسود الأرض، ملأ به قلب الإنسان وعقله؛ كي يحوله إلى حقيقة في واقع الأرض، فكان أن بعث محمدا -صلى الله عليه وسلم- ليكون قدوة للناس في تطبيق هذا المنهج: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ} [الأحزاب: ٢١] ، {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا} [الأحزاب: ٤٥، ٤٦].

وهكذا، أرسل محمد -صلى الله عليه وسلم- ليكون قدوة للناس في تطبيق منهج الله في واقع الأرض، فكان عليه الصلاة والسلام هاديا ومربيا بسلوكه الشخصي، وليس فقط بالكلام الذي ينطق به قرآنا أو حديثا، وعن طريق القدوة، فضلا عن القرآن والسنة، أنشأ محمد -صلى الله عليه وسلم- الأمة التي قال الله فيها: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} [آل عمران: ١١٠].

وهكذا، يرى الإسلام أن القدوة هي أعظم طرق التربية، ويقيم منهجه التربوي على هذا الأساس، فلا بد للطفل من قدوة في والديه ومدرسته كي يتشرب المبادئ الإسلامية ويسير على نهجها، ولا بد للكبار من قدوة في مجتمعهم تطبعهم بطابع الإسلام وتقاليدہ النظيفة، ولا بد للمجتمع من قدوة في قيادته بحيث يتطلع إليها ويسير على منوالها، ولا بد أن تكون قدوة الجميع هي شخصية الرسول التي تتمثل فيها كل مبادئ الإسلام وقيمه وتعاليمه^(٢٧).

وطريقة التربية بالموعظة: ففي النفس استعداد للتأثر بما يلقي إليها من الكلام. وهو استعداد مؤقت في الغالب. ولذلك يلزمه التكرار. والموعظة المؤثرة تفتح طريقها إلى النفس مباشرة عن طريق الوجدان وتهزه هزاً. وتثير كوامنه. لحظة من الوقت. كالمسائل الذي تقلب رواسبه فتملاً كيانه. ولكنها إذا تركت تترسب من جديد. لذلك لا تكفي الموعظة وحدها في التربية إذا لم يكن بجانبها القدوة والوسط الذي يسمح بتقليد القدوة ويشجع على الأسوة بها. فالقدوة المنظورة الملموسة هي التي تعلق المشاعر، ولا تتركها تهبط إلى القاع وتسكن بلا حراك^(٢٨).

المطلب الثاني : طريقة التعليم الإسلامية التي كان لها تأثير في طرائق التدريس المعاصرة)

المكتبة / الإجازة العلمية / الرحلة)

تنوعت طرق التدريس في العصر العباسي فمنها : السماع ، والإملاء والاستملاء ، والمذاكرة ، والمناظرة ، و التلقين والحفظ ، الرحلة ، أسلوب المحاورة ، والمجالسة ، و الثواب والعقاب ... الخ ولا يخفى لما لتلك الطرق من تأثير على حاضرنا المعاصر ، إذ الحاضر امتداد للماضي . كان تأثير الفكر الإسلامي في الغرب وطراق التدريس فيه عن طريق الكتب العربية في العلوم الطبيعية والفلسفية وغيرها التي ترجمت إلى اللاتينية وغيرها فترجمت كتب الرازي وابن سينا والغزالي والفارابي وغيرهم. وعن طريق ترجمة كتاب الخوارزمي دخلت الأرقام الهندية - العربية إلى بلاد الغرب.

وقد أحدثت هذه التراجم كلها في أوروبا اللاتينية ثورة عظيمة الخطر؛ ذلك أن تدفق النصوص العلمية من بلاد الإسلام واليونان كان له أعمق الأثر في استثارة العلماء الذين بدؤوا يستيقظون من سباتهم، وكان لا بد أن تحدث تطورات جديدة في النحو وفقه اللغة، ووسعت نطاق المناهج الدراسية، وأسهمت بنصيب في نشأة الجامعات ونمائها في القرنين الثاني عشر والثالث عشر. وكان عجز المترجمين عن أن يجدوا مفردات لاتينية تؤدي المعاني التي يريدون نقلها إلى تلك اللغة هو الذي أدى إلى دخول كثير من الألفاظ العربية في اللغات الأوروبية. ولم يكن هذا أكثر من حادث عارض في أعمال الترجمة. ولكن أهم من هذا أن الجبر وعلامة الصفر والنظام العشري في الحساب قد دخلت كلها في بلاد الغرب المسيحية بفضل هذه التراجم، والطب من ناحيته النظرية والعلمية قد تقدم تقدماً عظيماً بفضل ما قام به العلماء المترجمون اليونان واللاتين والعرب واليهود، وما كان لعلم الهيئة اليوناني والعربي من شأن خطير قد أحدث وكان لا بد أن يحدث، توسعا في علوم الدين، وفي تعديل أفكار العلماء عن الإله، وكان ذلك إرهاباً بتغيير في

هذه الناحية أوسع مدى جاء بعد عهد كوبرنيق. وإن في إشارات روجر بيكون المتكررة لابن رشد، وابن سينا، والفارابي لدليلا على ما كان لهؤلاء العلماء من تأثير وحافز جديد، وفي ذلك يقول روجر بيكون نفسه: "لقد جاءت إلينا الفلسفة من العرب"، ومعقول أن الذي دعا توماس الأكويني لتأليف كتابه الجامع في اللاهوت هو أن يحول دون تسرب التفسير العربية لأرسطو إلى علوم الدين المسيحية. وهكذا رد الإسلام إلى أوروبا ما أخذ عن اليونان بطريق بلاد الشام كما قدم لها زادا علميا وفكريا اعتمدت عليه في اندفاعتها القوية إبان عصر النهضة وما بعده^(٢٩).

أما من الناحية الثانية فنقتبس ما يقوله الشيخ محمد أبو زهرة من أن إنشاء المدارس مع أنه أدى إلى نشر العلم وكثرة تحصيله قد أدى إلى التعصب الفكري وكثرة الأتباع، وقلة التفكير الحر المستقل الذي ينظر إلى الدليل وما يوصل إليه البرهان من غير تقليد أو اتباع. وإن تساهلنا وقلنا إن ذلك التحيز الفكري قد اقترن بإنشاء المدارس فإنه لا بد أن ذلك كان بعض أسبابه وإن لم يكن كلها. "محمد أبو زهرة ١٩٧٧:" . ويضيف الشيخ محمد أبو زهرة نتيجة سلبية أخرى لإنشاء المدارس هي أن المخلصين وغير المخلصين ويطلبه ذوو الأدب وذوو الدين ويطلبه العلية ويطلبه السفلة. حتى ليروى أن علماء ما وراء النهر عندما علموا بإنشاء المدارس وجلب العلماء لها أقاموا ماتما للعلم؛ لأنهم حسبوا ذلك يؤدي إلى ضياعه وفساد الأمر^(٣٠)."

ومن المؤسسات العلمية التي ساهمت في التنمية السلوكي للفرد المسلم في العصر العباسي :

المسجد وأثره التربوي : كان أول عمل قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما وصل المدينة بناء المسجد؛ لأن المسجد هو الذي يضم شتات المسلمين، يجمعون فيه أمرهم، ويتشاورون لتحقيق أهدافهم، ودرء المفساد عنهم، والتعاون لمجابهة المشكلات، وصد العدوان عن عقيدتهم، وعن أنفسهم، وأموالهم، بل هو المعقل الذي يلجئون فيه إلى بارئهم، يستمدون منه السكينة والقوة والعون، ويعمرون قلوبهم بشحنة جديدة من الطاقات الروحية، بها يمنحهم الله صبورا وبأسا، وإقداما ووعيا وتبصرا ورباطة جأش، وبعد نظر، وتقاؤلا ونشاطا.

كانت للمسجد في صدر الإسلام وظائف جليلة أهمل المسلمون اليوم عدداً منها، فقد كان منطلقاً للجيش وحركات التحرير، تحرير الأمم والشعوب من العبودية للبشر، والأوثان والطواغيت، لينتشفوا بعبوديتهم لله وحده، وكان المسجد مركزاً تربوياً، يربي في الناس على الفضيلة، وحب العلم، وعلى الوعي الاجتماعي، ومعرفة حقوقهم وواجباتهم في الدولة الإسلامية، التي أقيمت لتحقيق طاعة الله وشريعته، وعدالته ورحمته بين البشر، فكان أن انطلق تعليم القراءة والكتابة، أي البدء بمحو الأمية من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان المسجد مصدر إشعاع خلقي، يتشبع فيه المسلمون بفضائل الأخلاق، وكريم السمائل.

وبقي الأمر على هذا بين مد وجزر، تطغى الأغراض الدنيوية حيناً على بعض المنظمين لرواد المساجد ممن كانوا يسمون علماء، فتقلب حلقاته إلى موارد للرزق، ومعاقل للتعصب المذهبي، أو الطائفي أو الشخصي!!

ولذلك عندما يأخذ المسجد مكانه الطبيعي الذي بني من أجله، وأراده الله له، يصبح من أعظم المؤثرات التربوية في نفوس الناشئين، فيه يرون الراشدين مجتمعين على الله، فينمو في نفوسهم الشعور بالمجتمع المسلم، والاعتزاز بالجماعة الإسلامية، وفيه يسمعون الخطب والدروس العلمية، فيبدؤون بوعي العقيدة الإسلامية، وفهم هدفهم من الحياة، وما أعدهم الله له في الدنيا والآخرة وفيه يتعلمون القرآن ويرتلونه، فيجمعون بين النمو الفكري، والنمو الروحي وهو الارتباط بخالقهم وفيه يتعلمون الحديث والفقه، وكل ما يحتاجون من نظم الحياة الاجتماعية كما أراد الله أن ينظمها للإنسان، فلا يبرمون أمراً إلا بعد اجتماعهم على صلاة فالمسجد على هذا يعلم الناشئين أن كل أمور الحياة تابعة للارتباط بالله، وصادرة عن هدف التربية الإسلامية الشامل الذي هو إخلاص العبودية لله، وينغرس هذا المعنى في نفس الناشئ عفواً من غير قصد ولا تكلف^(٣١).

يتلقى المسجد الناشئين بعد أن ترعرعوا بين أحضان الأبوين، فالأسرة المسلمة هي المعقل الأول، الذي ينشأ فيه الطفل، في جو التربية الإسلامية في العصر العباسي ، فعلى الأبوين تقع مسؤولية تربية الأبناء، ووقايتهم من الخسران والشر والنار، التي تنتظر كل إنسان لا يؤمن بالله، أو يتبع غير سبيل المؤمنين^(٣٢).

ومن أبرز طرائق التدريس التي امتد أثرها إلى الوقت الحاضر :

• **المكاتبة :** هي عند المحدثين أن يكتب الشيخ مسموعة لغائب أو حاضر بخطه أو بخط غيره بإذنه، فهي كالمناولة، إما مقترنة بالإجازة كأن يكتب إليه أجزت لك ما كتبتك إليك، أو مجردة عنها كأن يكتب حدثنا فلان بهذا. والصحيح جواز الرواية بهما جميعاً، وهي في الصحة والقوة كالمناولة ويكفي معرفة خط الكاتب، كذا في خلاصة الخلاصة. وفي شرح النخبة أطلق المتأخرون المكاتبة في الإجازة المكتوب بها بخلاف المتقدمين فإنهم إنما يطلقونها فيما كتبه الشيخ من الحديث إلى الطالب سواء أذن له في روايته أم لا^(٣٣).

• **الإجازة العلمية :** أما الإجازة فهي السماح بنقل العلم إلى الآخرين. ولها ستة أشكال منها: المناولة وذلك أن يعطي الشيخ كتبه أو بعضها لتلميذه أو لأحد العلماء مؤكداً لهم أنها بخط يده، ويخبره باسم الشيخ الذي أخذ ما فيها عنه وشكل إجازته له بها ويجيزهم بإعطائها للآخرين. وبعض العلماء يعدون المناولة كالسماع في القوة. وتوسع البعض فيها فيجيز الشيخ كتب مكتبته كلها. ومنها أن يجيز الشيخ جميع قراءته ومسموعاته للآخرين وهذا هو الشكل الثاني ولم يقبله بعض الشيوخ.

الشكل الثالث هو أن يرسل أحاديث معينة أو أجزاء من كتب الحديث المكتوبة ويجيزها لمن أرسلت إليه. والشكل الرابع هو إجازة شخص ما برواية الأحاديث الصحيحة في كتاب ما دون تحديد. وهذا النوع لقي أيضاً بعض المعارضة، أما الشكل الخامس فهو أن يتقدم أحدهم بورقة مكتوب فيها حديث أو رأي ويسأل

الشيخ عما إذا كانت هي له فإذا أيدها ذلك الشيخ أصبحت إجازة لصاحبها. والشكل السادس هو أن يصدر الشيخ إجازة لغيره برواية ما تلقاه هو بالإجازة.

وهناك نوع رابع من وسائل التدريس نشأ حوله بعض الخلاف يسمى "الوجادة" من وجد، وهو أن يتبنى الإنسان شيئاً وجدّه أو قرأه في كتاب أو تعليق ولم يطلب الإجازة من كاتبه ولم يسمعه منه. وقد انتفع العلماء أو على الأقل بعضهم بهذا النوع من التدريس ولكنهم في الغالب اتهموا بالسرقة أو على الأقل اتهموا بأنهم يروون شيئاً لم يجازوا بروايته. وكان التعليم يتم أيضاً خلال الأسفار والرحلات ومواسم الحج. وقد أوعز الخليفة المهدي للإمام مالك بن أنس بروايته كتابه "الموطأ" أثناء موسم الحج ليتلقاه عنه علماء الأمصار^(٣٤).

• الرحلة : تعد من طرق البحث والتحصيل العلمي؛ فبينما يشترط المحدثون الرحلة والإسناد لم يشترط ذلك جماعة من الفقهاء، زيادة على اعتبارهم أن جهود الفقهاء قامت على جهود المحدثين.

وهذه الانتقادات أثرت في مفاهيم الفقهاء الذين استنكروا التقليد مع المحدثين وأباحوه للعامة؛ لأنهم لا بد من أن يقلدوا علماءهم.

وكان من نتائج ظهور هذه المدارس ظهور رجال اتضحت مفاهيم التربية وتبلورت نظريات التربية الإسلامية فيما كتبوا، وسنعرض لجهودهم وإضافاتهم وآرائهم عندما نتحدث عن جهود رجال التربية الإسلامية^(٣٥). ولذلك حث الإسلام على طلب العلم وألا يدخر الإنسان جهداً في سبيل تحصيله ولو كان في الصين. واعتبر السفر في طلب العلم جهاداً في سبيل الله

الخاتمة

بعد رحلة البحث ، يمكن استخلاص ابرز النتائج من هذه الدراسة :

١. أن الله سبحانه وتعالى قد تعهد البشر تربوياً بتعليمهم منذ أن خلق سيدنا آدم وأودع فيهم القوى والطاقات التي تمكنهم من استعمار الأرض وإظهار ما أودع الله فيها من كنوز وخيرات؛ فكان الإنسان هو الخليفة الذي سلم أمر الأرض إليه .
٢. أذكى الإسلام منذ بدايته مروراً بالعصر العباسي جذوة المعرفة في نفوس العرب إذ دفعهم دفعاً قوياً إلى العلم والتعليم ، فلم يمض نحو قرن حتى أخذت العلوم اللغوية والدينية توضع أصولها ، وحتى أخذ العرب يلُمون بما لدي الأمم المفتوحة من ثقافات متباينة.
٣. بدأت فكرة " المعلم " لدى الإنسان منذ القدم بسيطة ، فقد أدرك ضرورة مواجهة المشكلات التي تجابهه ، فلكي يعيش لابد من أن يتغلب عليها.
٤. نشأت طرق التعليم بصورة بسيطة تعتمد على المحاولة والخطأ ، والملاحظة والمحاكاة وكلما مر الزمان بها تطورت .

٥. كانت طريقة التعليم في الحضارات القديمة تتمثل في المعيشة الكاملة بين التلميذ والاستاذ عن طريق التقليد والميل والارشاد الدائم
٦. الفلسفة التربوية للطرائق التدريس تنبثق عن فلسفة المجتمع ،وتعمل المدرسة على خدمة المجتمع عن طريق صياغة مناهجها وطرق تدريسها في ضوء فلسفة التربية وفلسفة المجتمع معاً
٧. في العصر العباسي تنوعت طرائق التدريس تبعاً للمناهج التعليمية والمؤسسات العلمية
٨. طريقة المحاضرة من أكثر طرائق التدريس استخداماً لقدرتها على إثارة الانتباه وتقديم المعلومات والحقائق التي يصعب الحصول عليها بطريقة أخرى
٩. أشهر وسائل التدريس عند علماء المسلمين هي السماع والإملاء وهي تتفاوت فيما بينها من حيث الأهمية
١٠. تعتبر طريقة الحوار والمناقشة والمناظرة من طرق التدريس الفعالة، وهي تعتمد على الأسئلة والاستجواب للوصول إلى الحقائق، وتتيح هذه الطريقة الفرصة للمتعلم للمشاركة في العملية التعليمية بالأسئلة وإبداء الرأي والاستماع إلى آراء الآخرين وتحليلها.
١١. المكاتب : هي عند المحدثين أن يكتب الشيخ مسموعة لغائب أو حاضر بخطه أو بخط غيره بإذنه، فهي كالمناولة، إما مقترنة بالإجازة كأن يكتب إليه أجزت لك ما كتبته إليك، أو مجردة عنها كأن يكتب حدثنا فلان بهذا، و أما الإجازة فهي السماح بنقل العلم إلى الآخرين

المواش

- (١) ينظر التربية في عصور ما قبل الاسلام وبعده ٨٧ .
- (٢) ينظر السيرة النبوية : ٢٢١/١ .
- (٣) ينظر : التربية في عصور ما قبل الإسلام وبعده ، عباس محبوب ، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، الطبعة: رجب - ذو الحجة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م : ١١١.١١٢
- (٤) ينظر: طرق تدريس المواد الاجتماعية ، عبد الرحمن جامل (ب . ت) : ٩٠ . ٩٣
- (٥) ينظر فلسفة التربية الاسلامية : د. حامد عرسان الكيلاني ، دار المنارة ، جدة ط ١ ، ١٩٨٧ : ٢٣
- (٦) ينظر : التوجيه والإرشاد النفسي ، الدكتور حامد عبد السلام زهران ، الناشر: عالم الكتب الطبعة: الثالثة : ٦٩
- (٧) ينظر : الكافي في أساليب تدريس اللغة العربية ، د. محسن علي عطية ، دار الشروق ، الطبعة الأولى ٢٠٠٦م : ٢٧
- (٨) ينظر : المناهج الحديثة وطرائق التدريس ، د. محسن علي عطية ، دار المناهج الاردن الطبعة الاولى ٢٠١٣م : ٩٢
- (٩) ينظر : أصول التربية الإسلامية وأساليبها للنحلاوي : ١٣٥

- (١٠) ينظر : الإدارة التربوية في المدارس في العصر العباسي، محمد علي الرجوب، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، الأردن أريد. : ١١٠
- (١١) ينظر : التاريخ السياسي والفكري، د. عبد المجيد أبو الفتوح، دار الوفاء، المنصورة بمصر، ط٢، ١٩٨٨م. : ١٧٩
- (١٢) ينظر: الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ولمحات من تأثيرها في سائر الأمم ، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَكَة الميداني الدمشقي (المتوفى: ١٤٢٥هـ) ، دار القلم- دمشق الطبعة: الأولى المستكملة لعناصر خطة الكتاب ١٤١٨هـ-١٩٩٨م : ٥٨٩
- (١٣) ينظر : دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي ، علي محمد محمد الصَّلَّابِي ، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م : ٢٧٨ . ٢٧٩
- (١٤) ينظر : الفاطميون وتقاليدهم في التعليم ، هاينز هالم : ٢٣
- (١٥) ينظر : أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع ، عبد الرحمن النحلاوي ، دار الفكر ، الطبعة: الخامسة والعشرون ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م : ١٢٠
- (١٦) التربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها ، عاطف السيد : ٧٠
- (١٧) ينظر : رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الأسفار ، محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، أبو عبد الله، ابن بطوطة (المتوفى: ٧٧٩هـ) ، دار الشرق العربي : ١ / ١٧١
- (١٨) ينظر : رحلة ابن جبير ، ابن جبير، محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي، أبو الحسين (المتوفى: ٦١٤هـ) ، دار ومكتبة الهلال، بيروت : ١٨٣
- (١٩) أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع ، عبد الرحمن النحلاوي : ٢٩٥
- (٢٠) ينظر : مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها ، على أحمد مذكور : ٢٣٨
- (٢١) التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية ، محمد منير مرسي : ٨٩
- (٢٢) التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية ، محمد منير مرسي : ٩٠
- (٢٣) التربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها ، عاطف السيد : ٧١ . ٧٢
- (٢٤) ينظر: العملية الإرشادية ، محمد محروس الشناوي ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة: الأولى ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م : ١٠١
- (٢٥) ينظر: أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع عبد الرحمن النحلاوي: ٢٩٦
- (٢٦) ينظر : أساليب علماء الحديث في التربية والتعليم في العصر العباسي واستفادة المعلم منها، محمد بن الحسن القرني، رسالة ماجستير من: جامعة أم القرى كلية التربية ، قسم التربية الإسلامية: ١٤٤ . ١٧٠

- (٢٧) ينظر :مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها ، على أحمد مدكور ، دار الفكر العربي ، الطبعة: ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م : ٢٣٦
- (٢٨) ينظر : منهج التربية الإسلامية ، محمد بن قطب بن إبراهيم ، دار الشروق ، الطبعة: السادسة عشرة : ١ / ١٨٧
- (٢٩) التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية ، محمد منير مرسى : ٣١
- (٣٠) ينظر: تاريخ المذاهب الإسلامية -، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي- القاهرة. بدون تاريخ. : ١٥٧
- (٣١) ينظر : أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع ، عبد الرحمن النحلاوي ، دار الفكر ، الطبعة: الخامسة والعشرون ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م : ١٠٨ . ١١٠
- (٣٢) ينظر : أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع ، عبد الرحمن النحلاوي : دار الفكر ، الطبعة: الخامسة والعشرون ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م : ١١١ . ١١٢
- (٣٣) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد ١١٥٨هـ) ، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم ، تحقيق: د. علي دحروج ، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي ، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت ، الطبعة: الأولى - ١٩٩٦م. : ٢ / ١٦٣٤
- (٣٤) التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية ، محمد منير مرسى : ٩٠
- (٣٥) ينظر : التربية في عصور ما قبل الإسلام وبعده ، عباس محجوب ، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، الطبعة: رجب - ذو الحجة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م : ١١٩

المصادر

١. القرآن الكريم
٢. الإدارة التربوية في المدارس في العصر العباسي، محمد علي الرجوب، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، الأردن أريد
٣. أساليب علماء الحديث في التربية والتعليم في العصر العباسي واستفادة المعلم منها ، محمد بن الحسن القرني ، رسالة ماجستير من : جامعة أم القرى كلية التربية ، قسم التربية الإسلامية
٤. أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع ، عبد الرحمن النحلاوي ، دار الفكر ، الطبعة: الخامسة والعشرون ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م
٥. التاريخ السياسي والفكري، د. عبد المجيد أبو الفتوح، دار الوفاء، المنصورة بمصر، ط٢، ١٩٨٨م
٦. تاريخ المذاهب الإسلامية -، محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي - القاهرة. بدون تاريخ
٧. التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية ، : محمد منير مرسى : عالم الكتب، الطبعة: طبعة مزيدة ومنقحة ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م

٨. التربية في عصور ما قبل الإسلام وبعده ، عباس محجوب ، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، الطبعة: رجب - ذو الحجة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م
٩. التربية في عصور ما قبل الإسلام وبعده ، عباس محجوب ، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، الطبعة: رجب - ذو الحجة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م
١٠. التوجيه والإرشاد النفسي ، الدكتور حامد عبد السلام زهران ، الناشر: عالم الكتب الطبعة: الثالثة
١١. الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ولمحات من تأثيرها في سائر الأمم ، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَكَة الميداني الدمشقي (المتوفى: ١٤٢٥هـ) ، دار القلم- دمشق الطبعة: الأولى المستكملة لعناصر خطة الكتاب ١٤١٨هـ-١٩٩٨م
١٢. دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي ، علي محمد محمد الصلّابي، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م
١٣. رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، أبو عبد الله، ابن بطوطة (المتوفى: ٧٧٩هـ)، دار الشرق العربي
١٤. رحلة ابن جبير ، ابن جبير، محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي، أبو الحسين (المتوفى: ٦١٤هـ) ، دار ومكتبة الهلال، بيروت
١٥. طرق تدريس المواد الاجتماعية ، عبد الرحمن جامل (ب . ت)
١٦. العملية الإرشادية ، محمد محروس الشناوي ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة: الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م
١٧. الفاطميون وتقاليدهم في التعليم ، هاينز هالم (ب . ت)
١٨. الكافي في أساليب تدريس اللغة العربية ، د. محسن علي عطية ، دار الشروق ، الطبعة الأولى ٢٠٠٦م
١٩. مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها ، علي أحمد مذكور ، دار الفكر العربي ، الطبعة: ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م
٢٠. المناهج الحديثة وطرائق التدريس ، د. محسن علي عطية ، دار المناهج الاردن الطبعة الاولى ٢٠١٣م
٢١. منهج التربية الإسلامية ، محمد بن قطب بن إبراهيم ، دار الشروق ، الطبعة: السادسة عشرة
٢٢. موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد ١١٥٨هـ) ، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم ، تحقيق: د. علي دحروج ، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي ، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت ، الطبعة: الأولى - ١٩٩٦م